

ثقافة

ماذا تقول الكلمات ؟

ماذا تقول الكلمات ؟

حين يسقط الجسد على الأرض ، ويستقر الرصاص في الفم . ماذا تستطيع الكلمات ان تفعل؟ حين يتحول سلاح النقد الى نقد السلاح ، تتراجع الكلمات لتتحول الى رصاص يبحث عن فاعليته ، خارجا من بحار الدماء التي تنزف داخل جسد التمرد والثورة .

ماذا تقول الكلمات ؟

على أطراف القافلة الفلسطينية التي علمتنا ان الكلمة جسد يخرج منه الرصاص . تتجمع الكلمات لتشهد ان الكلمة سلاح . وان نقد السلاح هو الجزء المظم لسلاح الكلمات . وان الثقافة فاعلية نضالية ، تخترق حجاب الموت الى الموت نفسه . كجمال ناصر ورفاقه الذين سقطوا وعلى جسدتهم يختلط الحبر بالدم ، رسموا للثقافة العربية مجدا نفع أمامه لتمثيل دروسه .

ماذا تقول الكلمات ؟

حين يصبح الادب شكلا من أشكال الموت. صليبا على مدرجات الرصاص نحمل الكلمات وتخترق المدرجات ، وصولا الى شكل الموت . هنا الفعل لا ترقب الفعل . هنا الموت نسي ممانعة ثورية للفرح . هنا يتراجع كل شيء ، ويقف الجسد الملتح بالحم الدموي وحده . ويصبح للكتابة مذاق الأرض نفسها ، ويلون الدم جميع الأوراق ، حيث تستقر الائتلاف في البنادق .

جمال ناصر : الآثار الشعرية . اعددها وقدم لها

د. احسان عباس .

جمال ناصر : الآثار النظرية . اعددها وقدم لها

ناجي طلوش .

المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت .

الطبعة الاولى آذار - نيسان ١٩٧٤ .

عندما نغف أمام ذكرى جمال ناصر ورفاقه ، لا نغفل عن الموت ، بل عن شكل النجيفة التي جبلت الجسد بالاوراق واخرجت زمنا جديدا يصل الأرض بأجساد الرجال . لذلك حين نقرأ كلمات جمال ناصر نكتشف ان الموت لا يسمح للكتابة بالتعامل مع النصوص كما تتعامل مع الشعر عادة . بل تصيح الكتابة لحظة تأمل للجسد الذي تتناثر عليه الابجدية في مئة احتمال لشكل القصيدة . لا نستطيع ان نتعامل مع جمال ناصر بوصفه شاعرا او كاتباً . انه جسد يؤثر للاحتالات جميعا ، ويرسم بين لحظة واخرى صرخة تسميها شعرا او ذكريات ، لكنها صرخة لا تكشف شكل الشعر ، بل تبحث عن شكل الموت . هكذا تصطدم حين نكتب عن آثار جمال ناصر باستحالة اي شكل من اشكال النقد . فلقد ترك القصيدة امكانية وذهب يبحث عن الثورة . تاركا لجسده حرية الصليب .

نفتح الكتابين ونقرأ . تخرج القضية عارية ، ونسمع صراخ الحقد الذي ينفجر :

« أما يعود اللاجئون او ان يموت اللاجئون »
ونستمع الى الجراح وهي تنغي ، تكتشف كيف يصبح الموت بابا للوصول الى الأرض ، وكيف تمشي تافلة الشهداء نحو الثمار :

« وقل لوحيدي ، اذا زار قبيري

وحن لذكري

بأني سأرجع يوما اليه

لاجني الثمر !! »

وعندما يخفت الصوت في مخاطبة حميمة مع الام ، فان المعركة وحدها هي الامنق . هي المصير وقد تجمع في زمن اللحظة الواحدة . لذلك يسكت صوت الضحين ويرتفع صوت التحدي :

« صلبت مصري هناك

هناك بين الشعاب

والحجح باسها هازجا